ISSN : 2353 – 0030
EISSN: 2602-697X
مجلة أبعاد
مجلد 08، العدد 02، 2021

فضاءات البوح ونعي الذات في المجموعة القصصية "لحظة اختلاس الحب" لفضيلة الفاروق

Spaces of disclosure and self-awareness in the story collection -“a moment of stolen love” of Fadila El farouk

د. مباركي هاجر*[1]
mebarki.hadjer.mosta.dz@gmail.com
[1] جامعة عبد الحميد بن باديس بمستغانم – الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2021/09/12	تاريخ القبول: 2021/11/01	تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

تحاول هذه الدراسة الكشف عن جماليات النصّ السردي النِسوي في الجزائر، برؤية نقدية في المجموعة القصصية "لحظة اختلاس الحب" لفضيلة الفاروق؛ وهي مساحة إبداعية أرادتها القاصّة انتقادية للوضع الاجتماعي والسياسي في الجزائر، بالتركيز على تصوير واقع المرأة المتردّي؛ في ظلّ انحراف العلاقات الإنسانية، وتداعي القيم المجتمعية . تتقدّم إلينا المجموعة القصصية "لحظة اختلاس الحب"؛ بوصفِها نُصوصًا مُتمركزةً حول الذّات، تقرأ الحاضر في وُجوهه المختلفة، وتُساءل الماضي بالأسئلة المحرجة عن قضية المرأة ؛ووضعها الفكري والاجتماعي، كما تنتقدُ "لحظة اختلاس الحب" بعض مُتعلّقات (النحن) أو الهُويّة الجماعية، وخُصوصا بعض تجلّياتها الثقافية من عادات وممارسات وتقاليد ذميمة.

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة الجزائرية؛ النسوية؛ فضيلة الفاروق؛ المرأة؛ المجتمع.

Abstract :

This study attempts to reveal the aesthetics of the annual short story in Algeria through the story collection "A moment of Stolen love" by Fadila Elfarouk. It’s a creative space that the writer wanted a critical of the social and political situation in Algeria ،focusing on portraying the deteriorating reality of the woman in light of the deviation of human relations and the collapse of societal values. The short story collection "The Moment of Stolen love " presents to us; As self-centered texts ،they read the present in its various faces ،question the past with embarrassing questions about the issue of women and their intellectual and social status ،

* المؤلف المراسل: mebarki.hadjer.mosta.dz@gmail.com

and criticize "A moment of Stolen love " some belongings (we) or collective identity ، especially some of its cultural manifestations of slander ،customs ،practices and traditions.

Keywords: Algerian short story ; Feminism ; Fadila Elfarouk ; woman ; Society.

1. مقدمة:

حاول الكُتَّاب العرب التّعبير من خلال أعمالهم السردية- روائية كانت أو قصصية - عن الهمّين المحلّي والعربي، والتفاعل مع الواقع الحاضر تفاعلا ديناميا، فالكُتّاب هم الأقرب للتعبير عن وجدان الأمّة وآمالها، وعليه تُعدّ الكتابة «إبداعا في حالة مواجهة أو رفض لكلّ ما يراه متّصلا بشروط الضرورة، مُعرقلا لحركة تقدّم الجماعة أو الفرد، أو كليهما في السعي نحو كلّ ما يُغني التجربة الإنسانية ويحرّرها من قيود التخلّف، بكلّ أوجهه السياسية والاجتماعية والفكرية والدينية والنفسية، ولعلّ هذا ما يفسّر درجة الوعي الذاتي المتزايد» (عصفور، 2010، صفحة 123).

وفي هذا السياق نُعرّجُ على الكتابة النِسوية في الجزائر؛ التي كان لها دورٌ بارزٌ في الكشف عن واقع الذّات وانقساماتها وتمزّقاتها الداخلية، فالحديث عن حُضور المرأة في الساحة الأدبية العربية، لا يزال يشُوبُه الكثير من الالتباس والضبابية، لما له من خصوصية وحساسية، بين الذّهنية الراسخة في مجتمعاتنا العربية، وما يقدّمُه الواقع الحضاري من بُنى فكرية وثقافية؛ وعليه جاءت التجربة الإبداعية النسائية «على استحياء ووجل ولعلّها تعرّضت لعمليات مسخ وتحريف وتحويل(...) وتحوّلت القصّة من خطاب نسوي شفهي إلى مدوّنة مشوّهة؛ اختلط فيها صوت الأنثى بصوت الرجل، فاختلطت الأساليب والحكايات، حتّى صار الكُتّاب كُتّاباً عن المرأة وضدّ المرأة في آن واحد» (فراج، 1975، صفحة 14).

في ظلّ هذه الظروف، بلغت رغبة المرأة في معظم أعمالها الأدبية، حدودا قصوى من الانعتاق والتمرّد، سعت عبرها إلى محاولة تحرير الذّات (المرأة) من المفاهيم القديمة، وذلك من خلال إثارة الشكوك في المفاهيم الراسخة، ومحاولة توجيه الفكر وتجديد النظرة.

يُعدّ الفنّ القصصيّ من أبرز فنون الكتابة، التي شهدت انتعاشا وتطوّرا ملحوظا في الآونة الأخيرة، ولقد تحقّقَ ذلك في الجزائر؛ عبر أقلام كبار الكتّاب أمثال: أحمد رضا حوحو وأبو العيد دودو، وزهور ونيسي، وغيرهم ممّن سجلوا حضورا بارزا في الساحة

الأدبية الجزائرية، ولأنّ ورقتنا البحثية آثرت تعقّب الأقلام النسوية في القصّة القصيرة الجزائرية، سَنلِجُ هذه العوالم عبر اسم إبداعي غنيٍّ عن التعريف، وهو" فضيلة الفاروق"؛ التي استطاعت أن تصِلَ إلى وعي القارئ العربي من خلال نتاجِها الروائي والقصصيّ، وفي هذا السياق تُطلُّ علينا الروائية والقاصّة الجزائرية، المقيمة في لبنان "فضيلة الفاروق" من خلال أعمالها القصصية، التي ارتأينا مُقاربتها نقديًا من خلال هذه الدراسة.

فضيلة الفاروق كِيان إبداعي مثيرٌ للجدل، مسكونٌ بالثورة والتمرّد والجموح، ركّزت في مجمل أعمالها على التحوّلات الحاصلة على مستوى الفكر العربي بين الماضي والحاضر، تحوّلات لا ينبغي- من منطلق قناعاتها- أن نقف منها موقف المتفرّج المترقّب؛ بل لا بدّ من الإسهام في رحلة التغيير للخروج من العتمة إلى الضوء. فإلى أيّ مدى استطاعت الكاتبة الجزائرية مُعانقة قضايا وطنها، ومناقشة واقعه المفتوح على المتناقضات والأزمات؟ وهل قدّمت رؤيةً جديدةً تنحُو بها عن الموجود، إلى آفاق تتجاوز الحدود الضيّقة والمساحات الفكرية المغلقة؟ هذا ما ستُحاول هذه الدراسة الإجابة عنه، عبر التجربة القصصيّة "لحظة اختلاس الحب"؛ ولقد جاء اختيارنا لهذه النصوص؛ من قناعة تواجدها في إطار الدراسة؛ التي تتوجّه إلى ملامح الكتابة النِسوية وتجلياتها الفنّية في الساحة الإبداعية الجزائرية.

2. الكتابة في فوّهة المواجهة :

لقد انصرف الكُتّاب إلى قراءة الواقع المرير؛ الذي عانت منه الجزائر فيما اصطلح على تسميته بالعشرية السوداء، مرحلةٌ هامّةٌ في علاقة الذات بالآخر الداخلي، سجّلت تفاصيلها أقلام روائية وقصصية جزائرية، رصدت عديد الظواهر الاجتماعية؛ التي أفرزتها الأزمة وآثارها على الوطن ماديا ومعنويا، فنتجَ في هذا السّياق كمٌّ هائلٌ من النصوص؛ يمكن تصنيفه تحت أدب الأزمة أو الفجيعة، لواقع موبوء اشتدّت فيه حدّة الأصولية الدينية، لتصلَ إلى حدّ الإرهاب والتطرّف، وعرقلة المجتمع المدني؛ «فكثيرا ما ترتسمُ الحدود العدائية داخل المجتمع الواحد، فيظهر الآخر الجواني، فتبدو الذات الجماعية للبعض وكأنّها انقسام وانشطار» (لبيب، 1994، صفحة 98).

لقد عملت هذه النصوص على تعرية الواقع من مختلف جوانبه؛ فأضحى هذا النوع

من الخطاب، ينحو إلى استيعاب وتمثيل الجوانب الملتصقة بما نعيشه؛ "عبر تمرير محتوى الحياة في مصفاة الذات ومسالك الأنا، من خلال وعي يجابه العالم وأسئلته، ويصارع الآخرين ويستنبط قيما لا تنفكّ عن التحوّل والتبدّل(...) إنّه خطاب الشوارع الخلفية وخطاب ردهات النفس المنسية، وتلعثمات الذات المتكلّمة بلغة مشكالية، تسعى إلى الإمساك بما يرسم ملامح هُويّة منفلتة باستمرار" (برادة، 2012، صفحة 84)، وهذا إقرار بتعريج الكتابة السردية العربية اليوم، إلى مساحة أرحب تقرأ الحاضر في وجوهه المختلفة، وتُساءل الماضي، تنتقد وتبني عن وعي.

1.2 لحظة اختلاس الحب/ بين معاينة الواقع وغواية التخييل:

تبوّأت القصّة القصيرة في عقودها الأخيرة مكانة متميّزة بين فنون الأدب المختلفة، وقد تمثّلت هذه المكانة في تزايد الإقبال على كتابتها، بتنوّع اتجاهات كتّابها الفنّية وتباين طرائقهم الإبداعية، «وربما ترجع درجات الانتشار الواسعة هذه إلى الطبيعة الفنّية التي تمتاز بها القصّة القصيرة عن غيرها من الفنون الأدبية الأخرى، فهي تجمع-بمواصفاتها التعبيرية الخاصّة-بين أهمّ خصائص فني الشعر والرواية؛ حيث تستعير من الشعر إيجازه وتكثيفه، ولغته الإيحائية، واعتماده على التعبير بالصورة، وتستعير من الرواية مقاربتها الحميمة للواقع وتمثيل نماذجه الإنسانية العديدة، وتصوير خصوصية المكان والزمان» (إسماعيل، 2010، صفحة 05).

"لحظة لاختلاس الحب" عُنوانٌ يُشكّل الغلاف القصصيّ لمساحة إبداعية، تتشابكُ فيها القصص في عالمها الفنيّ، بالموروث الثقافي الإنساني والعربي، ليرتقي بها إلى التمثيل الرمزي لفكرة الوطن أو الأمة؛ هي تجربةٌ تُعبِّرُ عن القلق الإنساني؛ أرادتها فضيلة الفاروق عن المرأة، الروحِ والجسد وعشق الأوطان، تحت سَطوة الإحساس بالاقتلاع وعدم الاستقرار، مشدودةً إلى الذاكرة في لوحة بانورامية قصصيّة.

قامت المجموعة القصصيّة لحظات اختلاس الحبّ، على مساحات متّصلة بحبل القصّ يتزاوج فيها المتخيّل بالواقعي، باعتبار الواقعي هو الأرضية التي تشتغل عليها وتحاول التأثير فيها؛ سعت الكاتبة فيها إلى الاقتراب من واقع الذات، وتصوير تلك التناقضات العديدة التي تقع بينها وبين عالمها المحيط بها، والخانق لطموحاتها ومتطلباتها، بطريقة فنّية تجاوز فيها المتخيّل الواقعي في الجرأة؛ فالمتخيّلُ يقول الأشياء بصورة عارية، وهو أشدّ منه

وقعا في المتلقي؛ «هاجمتني الذكريات كثيفة كغيوم يناير الحزينة، جعلتني لا أنتبه إلى أنّ أثر الطريق المعبّدة اختفى، وأنّ الأعشاب والأشواك ملأت كلّ الدروب، غيمة الذكريات بدأت تنقشع عن مخاوف تسرّبت إلى قلبي، أما يزال في قلعتي بشر؟ تُراها قتلت قلعتي وصارت ضريحا للأحبّة (...) قلعتي ماتت ومات كلّ الأحبّة وبعد لحظات سأموت على أيدي قطّاع الطريق هؤلاء وأُدفن هنا، هل قدري قطع آلاف الأميال لأموت لا غير؟ » (الفاروق، 1997، الصفحات 95-94).

لحظة اختلاس الحبّ "لا تعرف النهاية؛ تتضمّن بعض الاستباقات التي لم تقطع حبل الإثارة والتشويق من القصص، منها ما تحقّق على مستوى بِنية النص، ومنها ما بقي معلّقا، ربطت من خلالها الكاتبة بين حاضر الشخصيات ومستقبلها، وحقّقت التواصل بين أجزاء مشروعها الإبداعي ،كما أنّها تحمل دعوة للقارئ للتفكير والتدبّر والمشاركة؛ «فالقراءة استهلاك للنّص في رأي التقليديين، والقراءة إنتاج للنّص في رأي الحداثيين، والقراءة إفادة وإنتاج وتثاقف في رأي أولئك وهؤلاء جميعا» (مرتاض، 1996، صفحة 31).

يرى بعض النقاد أنّ "فضيلة الفاروق"؛ استطاعت أن تُقدّم صورة مختلفة عن المرأة من خلال شخصياتها النسوية، فالمرأة عندها لا تجد ملاذها وقوّتها؛ إلاّ بالمواجهة وإثباتِ الذّات وليس بالهروب، إنّها المرأة القويّة التي تُثبتُ حضورها الفكري، وتُرسّخ وجودها؛ "بنقد الذات وتغيير الكثير من مواقفها، وإجراء تقييم موضوعي لواقعها والاعتراف بالجوانب السلبية من تاريخها، لتكون في تواصل مع الحاضر، بدل أن تقبع في مكانها تكتفي بالانفعال وردود الفعل". (مسرحي، 2006، صفحة 22).

"الغول مات" هي الحكاية المفتاح ومستوى السرد الأوّل، تُطالعنا فيه القاصّة بمعاني الانعتاق الشامل والحدود القُصوى للتمرّد، فلقد عمدت وعبر كلّ محطّاتها القصصيّة، إلى إزالة جميع الجدران المتراكبة، لكشف ما تنطوي عليه تلك الحُجرة السرّية لحياة المرأة الجزائرية بمستوياتها المتشابكة، وَصلَ الكشفُ عنها في بعض المحطّات؛ حدّ العبث العنيف بما كانت تحتويه هذه الغرف، من مسائل تستصعبُ المرأة أحيانا أن تكشفها لنفسها وليس للآخرين فقط؛ «تاق إليه، أشتاق إلى رجولته لأغطّي ضعفي، أتحيّن الفرصة كذئبة مفترسة، وأشعر باللحظة الحاسمة التي سينجح فيها الهجوم، لكنّ اللغة تخونني، وتنتحر أبجدية جسدي الأنثوي في تقاطيع ذاكرتي المحاصرة بطفولة مطوّقة، وصبا مُسيّج »

(الفاروق، 1997، صفحة 47).

لا تنتهي رحلة التواصل مع الماضي وشخصياته المختلفة؛ واقعية كانت أو متخيّلة في رحاب "لحظة اختلاس الحب؛ رحلةٌ يمتزِجُ فيها الحاضر بالماضي، لتمتدّ بمساحة قصصيّة خِصبة؛ تتجسّد في تضاعيفها بصورة قويّة ومحورية، ظاهرة الاغتراب بشكل متميّز؛ «اتّكأت الكاتبة في تمثيلها على أسلوب الانثيالات الشاعرية، والبوح، الذي يغلب عليه سمة الاعترافات، والانفعال النفسي، وهو الأسلوب الذي غالبا ما يبرز بشدّة في الكتابات النسائية بشكل عام، على اختلاف مضامينها، ويبدو هنا أشدّ وضوحا بوصف المرأة تجسّد في المضمون دور المجني عليه» (علي الزهراني، 2007، صفحة 148)؛ وبالتالي تكشف لحظة اختلاس الحب، عن علاقة مرتجّة بين عالم الواقع وعالم طوباوي.

فضاء المجموعة القصصية مُتعدّد متشعّب، يتمظهر في الهزّات والتقلبات التي تتعرض إليها الشخصية البطلة عبر الدوائر القصصية؛ فالشخصية المحورية عبر تضاعيف القصص؛ هي تاء التأنيث التي أصابتها لعنة المجتمع؛ «فلقد أنشأ التاريخ الثقافي الاجتماعي في المنطقة العربية سلسلة من الحواجز الرامية إلى إبقاء المرأة في منأى عن المكامن التي يتسرّب منها الخطر، انطلاقا من موقفين كبيرين متداخلين عبر التاريخ: يتجلّى الأوّل في عدّها تجسيدا لمنظومة من القيم الأخلاقية والاجتماعية على المستويين العام والخاص، والنظر إليها بالتالي بوصفها الجهة الرخوة التي ينكأ منها الشرف، ويتجلّى الثاني في عدّها تتصدّر المنظومة العينية المندرجة في الإطار العريض لفكرة الحيازة التي تشتمل على ملكية الأشياء من غير أن تقتصر عليها بطبيعة الحال». (صالح، 2003، صفحة 140).

تعيدُ القاصّة ترتيب علاقتها بفكرها في ضوء ارتجاج الوطن والتجَاجِه، لتكشف عمّا يختمرُ داخله من تطلّعات وقيم سامية؛ تتعرّضُ لإحباطات بفعل الصِدام مع مجتمع عربيّ، تشيعُ في أوساطه الآفات، ويُؤثَرُ فيه الثباتُ على الحِراك؛ ولعلّ هذا ما دعا الساردة للقول: «أنا زينب المخذولة، أنوي بكامل قواي العقلية أن أسحب أوراق اعتمادي من واجهة المجتمع، أنا النادمة عن كلّ سنين أحلامي وأحلام والدي، وأحلام والدتي، التي تمنت ألاّ أكرّرها، أبصم على وثيقة فشل بحجم السماء» (الفاروق، 1997، صفحة 77).

تعانق الكاتبة بحُرقة شديدةٍ أوجاع وطنها الجريح، في عالمها المكثّف والمتشعّب، لتُجاهره إبداعيا: «يَحضُرني الماضي وكأنّ ما عشتُه في غربتي امتحانٌ صعبٌ عن عشقِ الوطن، ها أنا

أخرجُ منه متعبةً ومتخوّفةً من النتيجة(...) عُودِي من حيثُ أتيتِ هذه البلدُ ليست للبشر» (الفاروق، 1997، صفحة 144).

بين علاقات عاطفية تعيشُها الأنثى عبر تضاعيف القصص؛ تُخلّف بدواخلها الانشطار والتمزّق، إلى حياة روحيةٍ وفكريةٍ أرادتها فضيلة تثقيفية حُبلى بدروس الحياة، إنّها رحلة اكتشاف للذات والآخر؛ لا تكُفّ القاصة من خلالها، عن إثارة القارئ وإمتاعه فنيّا، اختراقًا لا تقليدًا، إثارةً للسؤال لا تقديمًا للأجوبة، مُتصدّية لتزييفِ حقائق الأوطان، لا مُتصيّدة للأخطاء والزلل .

تُلقي "فضيلة الفاروق"، بهواجسها في الساحة الأدبية؛ لتكشف عَبرها عن مشاكل وطنها الجزائر، محورها علاقة المواطن المأزومة بوطنه، هذه العلاقة القائمة في داخله على أساس التحيّز والإقصاء؛ فقصّة "الحياة ليست فوق الشمس" تكشفُ عن الحاجة الشديدة لفهمٍ أعمقَ لذواتنا، فنهايتُها المُفجعة تحوي احتجاجًا صارخًا على واقعنا المُحزن؛ الذي تحوّلت فيه الأشياء إلى صور ضبابية مهتزّة، عبّرت عنها الساردة على لسان شخصيتها البطلة بقولها: "فما جدوى أن أكتب عن شعب أكثره يكتفي بقراءة العناوين، ويغضّ النظر عن دمائنا التي تغلي تحت هذه العناوين، ما جدوى وقوفي في فوهة شرهة لأرواحنا جميعا كمثقفين، وما يزال في داخلي الكثير ممّا يجب أن يقال، سأقوله وأموت" (الفاروق، 1997، صفحة 27)؛ يتّضحُ من هذا المقطع ؛ الطرحُ الانتقادي للذات الذي يستدعي وعياً جادًا بها وبصراعاتها، كما يحملُ دعوةً إلى التغيير شطرَ آفاق اجتماعية أرحب.

يتحرّكُ السردُ عبر المساحات القصصية، لتتجلّى من خلاله قدرةَ القاصّة على تلوين الأداء الفني؛ وفقًا لطبيعة الموضوع، فتفتحُ فضاء النصّ أمام المتلقي؛ لتُفصح له عن الكثير من أوجاع الفكرفي تعامل رمزي؛ بغرض الوصول بالمعنى إلى مقاصده المنشودة؛ « فلقد أصبح الوعي بالإنسانية والإنسان وتصوير ضعفه وانهزاماته هو موضوع إنسان الألفية الثالثة، لكلّ ما يحمله من توترات تهدّد وجوده، وصراعات تتحكّم في مساراته، وغدا الاستبطان النفسي ورصد علاقات البشر الداخلية في علاقة الإنسان بنفسه وعلاقته بالآخر هو الموضوع الأكبر لكثير من الكتابات» (الضبع، 2010، صفحة 69).

إنّه الهذيان المحموم في حُبّ الوطن، يحلُّ فيه التشاؤم والحزن بديلا للخير، تبلغ به

الكاتبة- من خلال رمزية كثيفة – حالة الاضطراب واللا توازن الضاربة بجذورها في عمق مجتمعاتنا العربية، واقع تحوّلت فيه النفس البشرية عن حالة الضمير الرقيب، إلى ضياع الضمير في حالة الانفلات والتدهور الفكري.

2.2. الفضاء الزماني والمكاني:

يداعبنا السرد القصصيّ عند فضيلة الفاروق في "أريد نبيا" و"الحياة ليست جميلة فوق الشمس"؛ لتُشركنا معها في استنطاق النّص؛ وفق شعورنا الخاص، فتتكشّف الحكاية عبر مستوياتها الرمزية، عن قيم جمالية وفنّية وفكرية، تتولّد في رحمها الدلالات مع كُلّ قراءة،: «لم لا تكونين امرأة غير عادية، لم لا تكونين أبدية لا تنتهي بشراء وثيقة متفق عليها من جهة ما أنّها وثيقة شرف، لما لا تكونين امرأة لأحلامي، تكبرين في أبحاثي وتكبرين في التاريخ؟ "نعم أريدك امرأة لأحلامي يا بيضة أريدك عنيفة البقاء، فلا أريدك أن تكوني زوجة امرأة للطعام للأطفال للبكاء لدعوات الغداء والعشاء». (الفاروق، 1997، صفحة 36).

تحرصُ فضيلة الفاروق عبر دوائرها القصصيّة على وصف المكان، وعلاقته بشخوصها «إذ يتفاعل الإنسان مع المحيط الذي يعيش فيه ويتحرّك داخله تفاعلا يدخل في تكوينه النفسي والفكري والسلوكي، إذ لا يقصد بالمكان مجرّد الحيّز الجغرافي الجامد الذي يكون مسرحا لحدثٍ ما، وإنّما يُقصد به إلى جانب هذا المفهوم الجغرافي، البيئة الاجتماعية التي يختارها الكاتب مسرحا لأحداثه، ويتّسع كذلك للأعراف والمعتقدات والعادات والتقاليد الاجتماعية، والقضايا والهموم التي يعانيها مجتمع دون آخر والمظاهر الحياتية التي تتّسم بها بيئة اجتماعية دون أخرى، وهو ما ينعكس على من يعيش داخلها» (نيل، 2015، صفحة 164).

يشكّل خطاب المكان في المجموعة القصصيّة "لحظة اختلاس الحبّ"، عبر ذاكرة مُثخنة بالأوجاع، معانٍ ودِلالاتٍ في المتلقي لاتُحَدّ؛ لعلّ أهمّها تحوّل وتبدّل العلاقات الاجتماعية، فغريزة الالتفات إلى الماضي؛ هي غريزة متأصّلة في ضمير الذات الإنسانية، والعودة إلى الماضي؛ هي قراءة في تجلّياته ووقوفا أمام تناقُضاتهِ ؛سعيًا لإعادة الاعتبار للذّات الضائعة في متاهات النسيان، لذا يُصبح النسيان همًّا يؤرّقُ الساردة، فهي تُكابد من أجل التغلّب عليه، وسحب أنثاها من على رفوفه؛ »فالذاكرة طريق وعر، لأنّها كشفٌ للمخبّأ وتعتيم للظاهر من وقائع، أو هي عمل مضاد لفعل الكتابة، لأنّ ما تكشفه

الكتابة تلغيه الذاكرة إنّها مسعى ضمني لقمع نوايا الكاتب، لأنّها تقوم على إبراز الكامن والمضمر كي يحلّ الظاهر المُعلن. « (ناجي، 2003، صفحة 131).

تشغل فكرة الانتقال داخل المكان، أو الانتقال من حالة إلى أخرى حيّزا مُهمّا من المجموعة القصصية، وهو ما يتوازى مع حالات الانتقال الكثيرة، داخل الزمان في مستوييه الرئيسيين: الماضي والحاضر؛ من خلال تفعيل تقنية الاسترجاع، لاشكّ أنّ هذه الحركية في أبعادها العديدة تعكس ذلك القلق الدائم؛ الذي تستشعرها الساردة إزاء ما يحيط بها من أخطار كائنة ومحتملة .

يتّسم المكان عبر القصص المتنوّعة في لحظة اختلاس الحبّ"، بالتبدّل والتحوّل على مستوى العلاقات الاجتماعية، ولم يكن وصف المكان وصفا عابرا، بل هو مُتعمّد عبر ثنايا السرد القصصي، يكشف عن تحوّل قيمته، ودوره العميق في تشكّل الذات وهُويتّها؛ هي أمكنة تلاشت أدوارها، لتُخلِّف شرخًا في الذات وحالة من العُقم ،على مستوى الفكر والمشاعر »هاجمتني الذكريات كثيفة كغيوم يناير الحزينة جعلتني لا أنتبه إلى أثر الطريق المعبدة اختفى وأنّ الأعشاب والأشواك ملأت كلّ الدروب"، هل سأجد سليمان في القلعة أمام المسجد العتيق المحاذي لبيتنا ينتظر عودتي يسترق النظر إلي، يبتسم حين أنظر إليه ثم يمضي« (الفاروق، 1997، صفحة 93).

في نسيج قصصي يرتبط فيه الواقعي بالتخييل؛ تتلبّس الكتابة عند فضيلة الفاروق بالحركية، نحو مُمكنات إبداعية «تحتمي فيها الذات من عفونة الواقع وتردّي المستوى وقصور الوعي ،عن الذهاب بعيدا في أعماق الموجودات وسبر أغوار المجهول الإنساني والطبيعي» (معتصم، 2003، صفحة 128)، تمنحُ في إطاره الكاتبة لشخصياتها؛ فرصة الحديث بلغتها ومستواها، وصراعاتها؛ ذواتٌ تعيش التهميش في ظلّ قمع الفكر والاعتداء على الحريات الفردية؛ إذ لم يعد -في نظر الساردة- للأمان مكان في الوطن، الذي فقد دوره وتحوّل من حالة المقّدس إلى الاعتيادي وأقلّ من ذلك؛ الوطن تبدّد تحت وطأة الانتماء الزائف.

بقدرة فائقة على فتح الحدود وكسر تابوهات المجتمع العميقة، وتشكيل فضاء إبداعي يتجانس فيه السردي والوُجداني ،تُبدي فضيلة جرأةً فذّةً؛ مكّنتها من النفاذ إلى عوالم جَرت العادة في الآداب الإنسانية عموما، إبقاؤها حيّز التعتيم في السرد القصصي والروائي؛ فلقد تمكّنت الكاتبة عبر مساحات مشهدية مُفعمة بالحوار والمنولوج الداخلي،

رصد الهواجس الفكرية لشخصياتها الأنثوية، التي تعيش اغترابا داخل الوطن، ومن هذا المنطلق تكون الكتابة عند فضيلة الفاروق" «فعل إرباك قبل أن تكون اختلاف، باعتبارها حال وارتحال دائم ،بين الأسئلة وانتهاك متواصل لمنطق الأجوبة» (محمود، 1998، صفحة 02).

"لحظة اختلاس الحب"، "رجل بالمجان"، "الحصار يقتل الحب"، "الرجل العشرون على الناصية" و"جريمة حي الحياة"، محطّات قصصيّة يلُامس فيها القارئ العلاقة الروحانية التي تعيشها الكاتبة مع أنثاها، والتي تكاد لا تبرحها عبر النسيج القصصي "لحظة اختلاس الحب."

هذه الأنثى الحاضرة بقوّة في كلّ أعمال فضيلة الفاروق، والتي تتَكشّفُ أمامها، وتبُوح لها بأوجاعها هي: باية، زينب، زبيدة، فاطمة، أسماءٌ لا تخلو من الرمزية العميقة، هي الحلم وهي الوطن، وهي الحضور والغياب، حالة من حالات الجنون الهادئ، »تقولين الأشياء كما تكتبينها بحروف صغيرة تفضح انفعالك وتضايقك من رأي الآخر، أنتِ بالفعل لست صبية، أنتِ مدينة أتعبها القصف والاعتداء، قلت: لا أظنّني أنحدر من سلالة المدن أنا أنحدر من سُلالة الإنسان الذي يُهدرُ دمه وكرامته أكثر؛ أنا أنثى « (الفاروق، 1997، صفحة 41).

تُلخِّصُ الكاتبة في هذا القول حجم معاناة المرأة داخل الأسْيِجَة المكهربة للبِنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري والعربي عامة، إذ تسعى عبر خطابها هذا إلى رفض استغلال الأنثى، وهدر طاقتها الروحية والجسدية؛ الأنثى التي لا تجد في النهاية سوى التكيُّفَ والخضوع، في مجتمعٍ يُجبرها على الاقتناع بسلبيتها؛ التي تعود إلى جنسها الأنثوي وصلاحها الذي يتعدّى ضمان النسل والاستمتاع المركّز حول ذاتها؛ كونهُا سجينةَ الأفكار السائدة« (صبّار، 1999، صفحة 62).

كانت هذه الرسالة الأولى في بناء الحدث القصصيّ؛ من قصّة "أُريدُ نُبيًا"؛ مساحة يتّحدُ فيها الماضي والحاضر بروابط وشيجة، فلا يستطيع أن يتحرّك الزمنان إلاّ معا، فلا الماضي يبتعد عن الحاضر ولا الحاضر يستطيع الحركة بمعزل عن الماضي؛ هي لحظات البَوحِ عندما يصير الفرد نهبًا لمشاعر الحصار، ويفتقدُ الأمنَ مِمّن يُفترض أن يكون مصدرا لهُ. «لم تفهم كيف اتّخذُ القرارات بسرعة، وكيف أحببتُ حضورك وتقبلتُ رسائل عينيك حين كان للنهار طقوسه، وحين حلّت طقوس الليل نفرتُ، أمامي الله

خلفي أب، مسجد وآذان، العشق أمنية مبتورة الجوهر؛ حين يحلّ الخوف في ضلوعنا بدلَ اللذّة، أمامي الله رمقتك بآخر ما تبقى لي من رغبة» (الفاروق، 1997، صفحة 42)؛ تتحرّك الكاتبة من خلال الأنثى الجامحة، بين ثنايا النسيج القصصي، دفاعا عن ذاتها وعن حقّها في الحياة؛ إيمانا منها بضرورة تغيير وضع المرأة وتصحيح تصوّر المجتمع لها.

3.2. محنة الأنثى في ظلّ سلطة الآخر

يُشكّلُ الخطاب السردي في القصص، من "الغول مات" إلى آخر محطّة "الخروج من زمن الموت"، سياقًا قصصيًا حافلاً بالتأمّل، ومشهدا للهزيمة والانكسار؛ رسمت فيه الأحداثُ ملامح عالمين مسكونين بسوء التفاهم: عالم المرأة وعالم الرجل، عالمين متناقضين تلتبّس بينهما الهُوية، ويرتجّ بينهما الفكر، فالعلاقات بين هذين العالمين قائمة على التهميش والسيطرة والاختزال. «لا أظنّ مُذ تزوجنا، أنّه حدث وفكّ رموز أعماقي، في الوقت الذي يتنفّس من حفيف أوراقه في مكتبه المُوصد، كنت أجالس صورته، وأتنفّس رائحته من على الوسائد وتحت أغطية الفراش، وأنام وصورته تحدثني، وأنامله لا وجود لها، تتخلّل شعري ثم يسرقني النوم، لأستفيق صباحا على يوم جديد، يوطّد المسافة بيننا» (الفاروق، 1997، صفحة 47).

ترصُد الساردة من خلال هذا المقطع عمق معاناة المرأة الزوجة في المجتمع الجزائري، ومن هذا المنطلق تحاول فضيلة الفاروق تأكيد أنّ »معظم المشكلات الزوجية الخاصّة تبدأ من الخلل في توازن العلاقة الحميمية، خاصة عندما تكون علاقة منفردة ومستعملة من جانب واحد دون تهيئة ومراعاة للجانب الآخر الذّي ربما يظلّ محروما« (الأمين، 2001، صفحة 114)، وفي ظلّ علاقة قائمة على القسر ومصادرة حرية المرأة، من البديهي أن تكون مشاعر المرأة تّجاه شريكها غير سوية مكتظّة بالكراهية والاشمئزاز.

تثير معاينة ومقاربة العنوان "الحصار الذي يقتل الحب" وما تبقّى من مرحلة الصراع"، وأعراض خيانة" وغيرها من القصص؛ قضية إبداع وتلقٍ، هي علاقةٌ تفاعليةٌ بين مقاصد فضيلة الفاروق في انتقاء دوال عناوينها ،وبين إدراك القارئ لبنِية هذه العناوين، التي تنحو به نحو حِبكة فنيّة؛ تتّبِعُ مصائر الشخصيات واشتباك أفكارهم، وتعارك مبادئهم وتوجّهاتهم، ضمن زخمٍ من الأحداثِ يُشكّلُ مُحرّك السرد، ويَصنعُ تفرّد هذا العمل القصصي. «فالعنوان باب الدخول إلى النص كما ذهب إلى ذلك ليوسبتزر، ويُساهم في مسيرته فيدفعه أبعد من نفسه، وأبعد ممّا توقّعه غالبا، مثلما جاء في

تفكيكيات جاك دريدا » (دريدا، 1988، صفحة 24) وبالتالي عناوين المجموعة القصصية -في عموميتها- إحالات ودلالات ؛ تكشف بعض أبعاد النصّ ومناخاته.

"لحظة اختلاس الحب" خطاب مناهض لكلّ ما تقاسيه المرأة في مجتمعاتنا العربية من تهميش وظلم، يروم إلى تغيير وضع الأنثى وتصحيح نظرة المجتمع إليها، عرضت فيه فضيلة الفاروق تصوّرا جديدا لمفهوم الغيرية أو الآخرية، لتُعرّج على الغيرية الجُوانية، من خلال التسلّط السافر للرجل، داخل مجتمع تتجاذبه المتناقضات وتتناحر فيه الذوات؛ والمرأة الكاتبة ككلّ النساء ترفض السلطة القهرية للآخر (الرجل)؛ الذي ظلّ قرونا شاهرا سيف طغيانه على الأنثى سالبا منها كلّ حقٍّ في التعبير عن ذاتها، مُدمجا إيّاها في قائمة ممتلكاته، وبهذا المنطلق كسرت فضيلة الفاروق القواعد المجتمعية التقليدية، وصارت في كتاباتها تحمل هموم الأنثى إزاء الآخر المنغلق، وهو أسلوب يحمل في بِنيته إدانة مُعلنَة للنّسقين (المؤنث والمذكر) الأنا والآخر، وبالتالي أسّست فضيلة الفاروق مجموعتها القصصية، وجلّ أعمالها على ثقافة فكرية؛ تستدعي من خلالها البوح بمكابدة ،تطمح فيها الذات الأنثوية إلى إبراز قدرتها المعرفية على جغرافية الفكر والثقافة.

الخاتمة:

هكذا أرادتها فضيلة الفاروق مناخات، وتساؤلات وإحالات، إلى الواقع والذاكرة، في بناء قصصي داخل هيكل فنّي، اعتمدت فيه على تداخل مستويات السرد، ليتولد أحدهما عن الآخر، وكأنك تقرأ ألف ليلة وليلة بطابع فكري واجتماعي .قصص رمزية تلامس مواطن التجلي وتجمع بين الإيحاء والإدهاش الفني، هي رحلة قصصية، آثرنا من خلالها الكشف عن مكامن التميز في الفضاء القصصي النسوي، مستأنسين فيها بأحداث من واقع تاء الخجل، تاء التأنيث الساكنة في مجتمعات غُلِّفَ فكرهُا؛ مسكونة بأوجاع وجراح لم تندمل بعد، في إطار بِنية قصصيّة قِوامها الانتقال السلس بين أكثر من فضاء.

الكتابةُ وجع يسكن أعماق الكاتب يسدّ نتوءات الجراح النازفة التي كانت ولا تزال تغيّبه وتقصيه، وحدها الكتابة بمقدورها أن تُحدث خلخلة فيما هو سائد من القيم والأفكار، وتُربك الذات ببعديها الفردي والجمعي، أمام جرأة السؤال التي تجعل الكلّ في مواجهة عارية أمام الذات؛ إنّها تفجير للمكبوت والمخفي، والكتابة في مدائن فضيلة

الفاروق تستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن؛ فالكتابة عندها فضاء يتحرّك في حدوده زمن الإنسان، وهي أروع مزيج بين قدرة العقل وسلطة اللغة.

يمكن القول بنوع من التعميم أنّ: فضيلة الفاروق أسهمت في التعبير عن جزء كبير من المتخيّل الاجتماعي والنفسي، خلال فترات ومنعطفات برزت في تاريخ الجزائر، مُركّزة على الذات الإنسانية من خلال المرأة، في محاولاتها اختراق المساحات وتجاوز أسباب الركود وفضاءات الغيرية الداخلية؛ لقد أتاحت لنا الكاتبة وبجدارة كبيرة، رؤية أشياء كثيرة من زوايا منظورية جديدة ما كان من الممكن رؤيتها من منظور الذكور.

المصادر والمراجع

- إحسان الأمين. (2001). المرأة : أزمة الهوية وتحدّيات المستقبل. بيروت: دار الهادي للصناعة والنشر والتوزيع.
- الطاهر لبيب. (1994). صورة الآخر ناظرا ومنظورا إليه. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية لعلم الاجتماع.
- أميرة علي الزهراني. (2007). الذات في مواجهة العالم- تجليات الإغتراب في القصّة القصيرة في الجزيرة العربية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- جابر؛ عصفور. (2010). الهوية الثقافية والنقد الأدبي. القاهرة: دار الشروق.
- جاك دريدا. (1988). الكتابة والاختلاف. (كاظم جهاد، المترجمون) الرباط: دار توبقال.
- خديجة صبّار. (1999). المرأة بين الميثولوجيا والحداثة. الدار البيضاء: إفريقيا الشرق.
- سوسن ناجي. (2003). الوعي بالكتابة في الخطاب النسائي المعاصر. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- صلاح صالح. (2003). سرد الأنا والآخر عبر اللغة السردية. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عادل نبل. (2015). جماليات النصّ السردي - رؤية نقدية في أعمال أمين يوسف غراب-. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- عبد المالك مرتاض. (1996). القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي. (نقولا زيادة، المترجمون) تجليات الحداثة (04)، صفحة 31.
- فارح مسرحي. (2006). الحداثة في فكر محمد أركون-، منشورات الاختلاف. بيروت - الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
- فضيلة الفاروق. (1997). لحظة اختلاس الحب. بيروت: دار الفارابي.
- محمد السيّد إسماعيل. (2010). بناء فضاء المكان في القصّة العربية القصيرة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- محمد برادة. (2012). الرواية العربية ورهان التجديد (المجلد الأول). القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- محمد معتصم. (2003). الرؤية الفجائعية في الأدب العربي في نهاية القرن وبدايات الألفية الثالثة. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- محمود الضبع. (2010). الرواية الجديدة قراءة في المشهد العربي المعاصر. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- محمد محمود. (23 فبراير, 1998). حوار مع أحلام مستغانمي. مجلة أيام الرواية (02)، صفحة 02.